

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ^{قُلْ} وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

ثم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) هذا تأديب
من الله [تعالى] لعباده المؤمنين ، ونهي لهم عن أن يسألوا (عن أشياء) مما لا فائدة
لهم في السؤال والتنقيب عنها ؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءت لهم وشق عليهم
سماعها ، كما جاء في الحديث : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا
يبلغني أحد عن أحد شيئا ، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر " . وقال البخاري :
حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن موسى
بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - خطبة ما سمعت
مثلا قط ، قال " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " قال : فغطى أصحاب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجوههم لهم حنين . فقال رجل : من أبي ؟ قال : "
فلان " ، فنزلت هذه الآية : (لا تسألوا عن أشياء) رواه النضر وروح بن عباد ، عن

شعبة وقد رواه البخاري في غير هذا الموضع ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي من طرق
عن شعبة بن الحجاج ، به .وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن
قتادة في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية ، قال :
فحدثنا أنس بن مالك حدثه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأله حتى
أحفوه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر ، فقال : " لا تسألوا اليوم عن شيء
إلا بينته لكم " . فأشفق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يكون بين يدي
أمر قد حضر ، فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كلا لافا رأسه في ثوبه يبكي
، فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبي الله ، من أبي ؟ قال : " أبوك
حذافة " . قال : ثم قام عمر - أو قال : فأنشأ عمر - فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام
دينا ، وبمحمد رسولا عائذا بالله - أو قال : أعوذ بالله - من شر الفتن قال : وقال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - : " لم أر في الخير والشر كاليوم قط ، صورت لي الجنة
والنار حتى رأيتهما دون الحائط " . أخرجاه من طريق سعيد .ورواه معمر ، عن الزهري ،
عن أنس بنحو ذلك - أو قريبا منه - قال الزهري : فقالت أم عبد الله بن حذافة : ما رأيت

ولدا أعتق منك قط ، أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية
فتفضحها على رؤوس الناس ، فقال : والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته . وقال ابن جرير
أيضا : حدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح
، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو غضبان محمار وجهه
حتى جلس على المنبر ، فقام إليه رجل فقال : أين أبي ؟ فقال : " في النار " فقام آخر
فقال : من أبي ؟ فقال : " أبوك حذافة " ، فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربا ،
وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن إماما ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك
، والله أعلم من آبائنا . قال : فسكن غضبه ، ونزلت هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا
تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) إسناده جيد . وقد ذكر هذه القصة مرسله غير واحد
من السلف ، منهم أسباط ، عن السدي أنه قال في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء إن تبد لكم تسؤكم) قال : غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما من
الأيام ، فقام خطيبا فقال : " سلوني ، فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به " . فقام
إليه رجل من قريش ، من بني سهم ، يقال له : عبد الله بن حذافة ، وكان يطعن فيه ،

فقال : يا رسول الله ، من أي؟ فقال : " أبوك فلان " ، فدعاه لأبيه ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل رجله ، وقال : يا رسول الله ، رضينا بالله ربا ، وبك نبيا ، وبالإسلام دينا ، وبالقرآن إماما ، فاعف عنا عفا الله عنك ، فلم يزل به حتى رضي ، فيومئذ قال : " الولد للفراش وللعاهر الحجر " . ثم قال البخاري : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا أبو الجويرية ، عن ابن عباس قال : كان قوم يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استهزاء ، فيقول الرجل : من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) حتى فرغ من الآية كلها . تفرد به البخاري . وقال الإمام أحمد : حدثنا منصور بن وردان الأسدي ، حدثنا علي بن عبد الأعلى ، عن أبيه ، عن أبي البختري - وهو سعيد بن فيروز - عن علي قال : لما نزلت هذه الآية : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) [آل عمران : 97] قالوا : يا رسول الله ، كل عام؟ فسكت . فقالوا : أفى كل عام؟ فسكت ، قال : ثم قالوا : أفى كل عام؟ فقال : " لا ولو قلت : نعم لوجبت " ، فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) إلى

آخر الآية .وكذا رواه الترمذي وابن ماجه ، من طريق منصور بن وردان ، به وقال الترمذي

: غريب من هذا الوجه ، وسمعت البخاري يقول : أبو البختري لم يدرك عليا .وقال ابن

جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إبراهيم بن مسلم الهجري ،

عن أبي عياض ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله

كتب عليكم الحج " فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه ، حتى عاد

مرتين أو ثلاثا ، فقال : " من السائل؟ " فقال : فلان . فقال : " والذي نفسي بيده ، لو قلت

: نعم لوجب ، ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ، ولو تركتموه لكفرتم " ، فأنزل الله ، عز

وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) حتى ختم الآية .ثم

رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة - وقال :

فقام محصن الأسدي - وفي رواية من هذه الطريق : عكاشة بن محصن - وهو أشبه

.وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف .وقال ابن جرير أيضا : حدثني زكريا بن يحيى بن أبان

المصري قال : حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر ، حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى ،

عن صفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : قام

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الناس فقال : " كتب عليكم الحج " . فقام رجل من الأعراب فقال : أفي كل عام؟ قال : فغلق كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأسكت واستغضب ، ومكث طويلا ثم تكلم فقال : " من السائل؟ " فقال الأعرابي : أنا ذا ، فقال : " ويحك ، ماذا يؤمنك أن أقول : نعم ، والله لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم ، ألا إنه إنما أهلك الذين من قبلكم أئمة الحرج ، والله لو أنني أحلت لكم جميع ما في الأرض ، وحرمت عليكم منها موضع خف ، لوقعتم فيه " قال : فأنزل الله عند ذلك : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) إلى آخر الآية . في إسناده ضعف . وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته ، فالأولى الإعراض عنها وتركها . وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا حجاج قال : سمعت إسرائيل بن يونس ، عن الوليد بن أبي هشام مولى الهمداني ، عن زيد بن زائد ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : " لا يبلغني أحد عن أحد شيئا ؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر " الحديث . وقد رواه أبو داود والترمذي ، من حديث إسرائيل - قال أبو داود

: عن الوليد - وقال الترمذي : عن إسرائيل - عن السدي ، عن الوليد بن أبي هاشم ، به .

ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه . وقوله : (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد

لكم) أي : وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتهم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي

على الرسول تبين لكم ، وذلك [على الله] يسير . ثم قال (عفا الله عنها) أي : عما كان

منكم قبل ذلك (والله غفور حلیم) وقيل : (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم)

أي : لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها ، فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو

تضييق وقد ورد في الحديث : " أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من

أجل مسأله " ولكن إذا نزل القرآن بها مجمل فسألتهم عن بيانها حينئذ ، تبينت لكم

لاحتياجكم إليها . (عفا الله عنها) أي : ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه ،

فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها . وفي الصحيح ، عن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - أنه قال : " ذروني ما تركتم ; فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم

على أنبيائهم " . وفي الحديث الصحيح أيضا : " إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد

حدودا فلا تعدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان

فلا تسألوا عنها " .